

الملاحظة الثانية :

يقول الاستاذ الناقد : « لقد تخلفنا في مضمار الحضارة وسبقنا غيرنا . والسر كل السر يكمن في وجود هؤلاء المتبطلين المشككين في القيم والتراث والاهداف وبكل ما يمت الى صلاحنا بصلة » .

معنى هذا الكلام انه يوجد اليوم في الدنيا عالمان : عالم متحضر متفوق ، وعالم متخلف مسبق حضاريا وانسانيا . . العالم الاول هو الغرب وقد تحضر وسبق وانتصر لانه لم يوجد فيه من يشكون ولا من ينفقون الحياة والكون والانسان والقيم ، ولا من يحتجون على الام والايحاء التي تسحق البشر وتشوه الوجود ، ولا من يقولون ببعثية الاشياء . . اما العالم الاخر فهم العرب او المسلمون وامثالهم . . وقد تخلفوا وسبقوا في التحصيل الحضاري . وسبب ذلك انه قد وجد فيهم كثيرون من هؤلاء المفكرين والمحتجين والناقدين للالهة والاديان والكون ولعل الاشياء وللاكاذيب التاريخية او القيم التاريخية التي يقع الحديث عليها كثيرا ولا يقع السلوك عليها ابدا - نعم سبب تخلف العرب والمسلمين وعجزهم الحضاري هو انه قد وجد فيهم كثير من امثال مؤلف ((العالم ليس عقلا)) - هؤلاء الاشقياء الهراطقة الذين يزعمون بكثرتهم الانق ويمنعون غيرهم من المؤمنين المسالين ان يجدوا لهم مكانا في العالم العربي او الاسلامي في هذا العصر وفي جميع العصور . . اما الغرب الذي صنع الحضارة والتقدم والرخاء ومنح الانسانية كل علومها ونظورها العظيم فقد وقاه الله من هؤلاء المفكرين المخربين الذين بالغ القدر جدا في تضخيم نصيب العرب منهم !

عجبا ! هل هذا كلام ؟ وهل يطبق الاستاذ الناقد ان يرى الصورة على هذا النحو ، او يقرأ التاريخ بهذا الذكاء ؟

الملاحظة الثالثة :

يركز الناقد المحترم على الزعم الذي يجد شهوة في تكريره ، وهو ان الصحافة والكتاب في لبنان قد اهملوا الكتاب لانهم قد ادركوا انه كتاب هدام ، يخشى منه على الفكر العربي ، لهذا لم ينقدوه او يدركوه او يشرروا اليه بخير . .

ولكن كيف ! لقد اشادت اغلب الصحف اللبنانية او كلها بالكتاب كذلك فعل الكتاب والمفكرون . ومن المستبعد ان يكون كل ذلك قد خفي على الاستاذ الناقد . .

ان الاستاذ ميخائيل نعيمة قال عن الكتاب : انه اعظم كتاب صدر عن اللغة العربية في قديمها وحديثها ، وانه اكبر دليل على عبقرية المؤلف ، وانه لم يسبق ان تكلم عربي هكذا قوة وصراحة وبلاغة وجراة وعمقا . . وقد نشرت اكثر الصحف اللبنانية اقوال نعيمة هذه . وقال الاستاذ فدري قلعجي في جريدة الكفاح اليومية : ان في الكتاب فصولا قل ان يوجد لها مثل في الشرق او الغرب وان الدارس لهذا الكتاب يحتاج الى عدة سنوات ليستطيع ايفاءه بعض حقه من الدراسة . . وقال الاستاذ جورج جرداق في جريدة الحياة : انه كتاب لا شبيه له في اللسان العربي ، وان امثاله في اللغات الغربية لقليل - قال : وحكي على من لا يقرأ هذا الكتاب ان يصفح - ثم قال : واني لارجو ان يصبح العرب هم وابتاؤهم في يوم من الايام جديرين بان يكونوا مواطنين مؤلف هذا الكتاب ! . وقال الاستاذ احمد سويدان في مجلة العلوم : ان الكتاب اقوى من جميع الثورات التي تقع في العالم العربي ، بل انه لا كبر من اية ثورة ، وانه اعظم كتاب فكرة يصدر في العصر الحديث ، قال : والعيب الوحيد لهذا الكتاب انه قد جاء في مجتمعات هي اصغر منه كثيرا وهو اكبر منها كثيرا . . وقال الدكتور صلاح المنجد في جريدة الحياة : انه كتاب قل ان تخرج المطابع مثيلا له ، وان مؤلفه في سطوع افكاره وعمقها

صادقا اشكر فضيله الاستاذ محمد جواد مفنية .

اولا : لانه حرص على ان يثبت انه قد قرأ كتابي ((العالم ليس عقلا)) ، وكان كريما جدا في حشده ابدلائل على اثبات قراءته له . وهذا شريف لي ولكتابي من فضيلة الشيخ فخر واعتز به .

ثانيا : اشكر فضيله لانه اخيرا قد قرأ الكتاب القراءة التي كنت انتظرها منه ، ونقل عنه فقرات كثيرة باهتمام ظاهر وحماس لا شك انه قد اعجبني وسرني .

وثالثا : اشكره لانه خاف على العالم العربي من الكتاب . اذن لقد كان تقدير الاستاذ للكتاب وشعوره به عميقا وعظيما . انه يخشى على القارئ من الكتاب - معنى هذا ان الكتاب يعني شيئا غير عادي ، انه يحشاه على مجتمع يعيش تاريخا كاملا طويلا ضخما من الترايل والمقائد والتقاليد والطقوس والاحتجاج وكل ما في الغيب من رهبة وغموض ومخاوف راسخة ، محروسا باوسع ووفى الاجهزة الدعائية الشاملة ، مع استعداد نفسي عنيد هائل للتمرد على التقير والارتحال الفكري والنضال ضد حوافر المستقبل ونبؤاته وانبيائه المارقين !

ان هذا تقدير لا تحفى دللته ، قد اهداه الي والى كتابي رجل كبير ذو مكانة دينية واجتماعية محترمة .

رابعا : اشكر الناقد انه قد جاء مهذب الاسلوب ، متساميا فوق الاساليب الفاضلة الفاذفة بكل ما نبي النفس من جراح ، محولة لها الى كلمات لم تعرف ان الانسان قد تحضر وتجاوز المرحلة التي يحصل فيها لفته الى حجارة غير مهذبة - تلك الاساليب التي يتعامل بها في الغالب من يزعمون انهم يدافعون عن الله وعن الدين والقيم التاريخية ، فيخرجون بذلك على الله والدين والقيم ، حيث يظنون انهم يدافعون عنها - يخرجون على الشيء بأسلوب الدفاع عنه ! لقد جاء الاستاذ نموذجا لنظام الكلمة والاسلوب وعفتها ، فله التهنة الراقصة !

وبعد هذا اشكر الخالص الذي يدينني به الاستاذ بجدارة تبقى لي على فضيلته عدة ملاحظات . .

الملاحظة الاولى :

يستنكر الاستاذ ان يصدر مثل هذا الكتاب في وقت تحاول فيه اسرائيل ارتشاف بعض المياه العربية الجارية في نهر الاردن . . وما معنى هذا الكلام ؟ معناه ان اسرائيل سوف تستطيع شرب المياه العربية لان هذا الكتاب قد صدر ، وانه او لم يصدر لما كان ممكنا ان تشرب هذه الندوة قطرة من مياهنا العربية !

عجبا ! هل هذا كلام ؟ هل يمكن ان يصاب العرب بحالة لا اعرف ماذا اسميها ، فيحرموا على انفسهم كل تكثير ونقد وفهم للكون والحياة او الانسان او التاريخ بحجة ان اسرائيل موجودة ، واسرائيل لا يمكن الانتصار عليها ولا قهر عدوانها الا بتحرير العقل بكل تغييراته ؟ وهل نفهم من هذا ان كل الشعوب التي تنتصر على اعدائها لا تنتصر الا لانها لا تفكر ولا تجد في تفسيرها للاشياء ولا تغير ازياءها التاريخية . وهل يمكن ان نفهم من هذا ان اسرائيل قد قامت في العالم العربي وان الاستعمار الغربي قد غزا في القرن الماضي واولئل هذا القرن لانه كان فينا مفكرون ومحتجون وناقدون وثائرون على قبورنا العقلية ، وان امثال هؤلاء المحتجين الناقدين لو لم يكونوا فينا لما قامت اسرائيل ولما انتصر علينا الاستعمار ؟

عجبا ! هل هذا كلام ؟ اني باخلاص لانزه الاستاذ من القول بمثل هذا الكلام .

اراد تقرير هذه التهمة او مغاللتها من بعيد ولكن بنوع من الشهوة الحادة .. وانا لا أجرؤ على تبين ذلك او ترجيحه ولكنه يبقى احتمالا . وقد زعم بعض القراء ان هذا تلميح ظاهر .

فان كان الامر كذلك فاني استطيع ان اقول للقاضي ان هذه تهمة غير مستقرة المكان ، وان من الممكن جدا نقلها من موقع الى موقع ، ومن هذا الجانب الى الجانب الاخر ، ورفعها عن المتهم ليلقى بها على صانع الاتهام ..

من الممكن القول بان الذين يرفضون افكار الكتاب ويعادونها وينادون بافكار مضادة هم الذين يخدمون اعداء وهم الذين يأخذون الثمن لانهم يعملون على ابقاء شعوبهم في جهالاتها وغبائها المبارك القديم الذي جلب لها التأخر والضعف والهزيمة والاستسلام للاعداء وللطفة المستغلين المستغلين ، كما يعملون بافكارهم المتخلقة وبمقاومتهم للافكار الجديدة على منع هذه الشعوب من التغير والتطور العظيم . فالتغير ضد الاعداء والاستقلال والطفان ، والجمود على ما كان من الافكار والمذاهب والنقائيد مفيد للاعداء وللمستغيبين من الاستقلال والطفان .

ان الاعداء حينما جاءوا الينا وانتصروا علينا كنا مثاليين في المحافظة على جمودنا العقائدي والعقلي ، ولم يكن يوجد بيننا احد من الزنادقة الكبار ، لم يكن يوجد بيننا حينئذ من يعرفون شيئا من هذه الافكار ، ليس فينا حينئذ من يفكرون بمثل الافكار التي جاء بها كتاب ((العالم ليس عقلا)) ليس فينا من كتب هذا الكتاب في ذلك الزمان البعيد .. لقد كنا نؤمن بالقبور ، بكل القبور فقط . كانت القبور هي اذكى واعظم كتبنا ومعلمينا ، كانت لنا اردا القبور لا اعظمها !

اما اعداؤنا الذين انتصروا علينا وابدعوا الحضارة وملكوا كل القوة فقد كانوا متمردين على كل شيء ، وكانوا يعلنون تمردهم ، يكتبونه وينشرونه ويدعون اليه دون ان يخشوا عقابا او سببا او اتهاما .. ان الشعوب المغلوبة المتأخرة هي التي تعادي امثال هذه الافكار ولا يوجد بينها من يدعها او يفهمها ، اما الشعوب المتقدمة القومية النافية لكل اعدائها فانها هي التي تصنع هذه الافكار وتفهمها وتؤمن بها وتلتفهاها بترحيب ومصافحة !

ان في اسرائيل وبين اليهود الان وفي كل وقت من يكتبون وينشرون كتباً لو كتب واحد منا واحدا منها لحكومته بتهمة الخيانة او لرجم في الطرقات الضيقة !

اذن فالجامدون على ما كان هم الخلقون بان يكونوا عوناً للاعداء وعملاء لهم ، لا الثائرون على ما كان ولا الباحثون عن الجديد .

ومع هذا فاني اعتقد ان مثل هذا التخريج او الاتهام هما ضد الذكاء والاخلاق ، واني لارفض ان يكون الاستاذ الناقد من الذين يرتضون لانفسهم ان يشهروا مثل هذا السلاح وارفع بمستواه عنه ، كما ارفض لكلا الجانبين ان يتفاهما بهذه التهمة الفبراء لانها اولاً ظلم ، وثانياً ضد الوفاق والاخلاق ، وثالثاً لانها خروج على الذكاء .

واني في الختام لاشكر الصديق الناقد اصدق الشكر واتمنى له المزيد من التوفيق والحماس في نصرته الحق والبحث عنه ومن الرفق بالضالين الخاطئين !

عبد الله علي القصيمي

طبعت على مطابع :



تلفون : ٢٢٢٩٢١

وجدتها لمبقرتي نذ ، وانه لو صدر في بلد مزدهر فيه الفكر لضجت الصحف بدراسه والنقل عنه .. وقال الاستاذ رمضان لوند في جريدة صوت العروبة لسان حزب النجادة ذي الاتجاهات القومية العربية الوحودية المناصرة للجمهورية العربية المتحدة : ان الكتاب مجهود فكري ضخم ، وانه يحوي افكاراً ضخمة مثيرة للدهشة والمعجب والانبهار .. وقد اقيمت في دار الحزب مناظرة حول الكتاب ونشرت المناظرة في صفحة كاملة من الجريدة ..

وقالت امثال هذه الاقوال عن الكتاب جريدة الانوار والسياسة وبيروت المساء ، وهي كلها جرائد مناصرة للجمهورية العربية المتحدة ، ودارت الصحف اللبنانية ، الاخرى مثل ذلك .

فكيف اذن يمكن الزعم بان الصحافة اللبنانية والكتاب اللبنانيين قد رفضوا الاحتفال بالكتاب او الاهتمام به لانه كتاب خطير وضار وضد مستقبل العرب !

ثم اذا كان الامر كما ذكر فضيلة الاستاذ من خطر الكتاب فكيف يحاز للمعمرين والغائب اللبنانيين الصمت عنه او عليه ؟ ان الواجب عليهم حينئذ ان يعلنوا حرباً وفائية ضد الكتاب لحماية الانسان العربي من شروره ومخاطره كما يعلن هو عليه مثل هذه الحرب ، واذا كان الاستاذ يرى ان من المصلحة الا يهاجم الكتاب لان مهاجمته تثير الاهتمام به ، وان افضل مقاومة له هي الصمت عنه فلماذا اذن لم يفعل الاستاذ هذا الشيء . لذي هو الافضل ، لماذا هاجمه فأتار الاهتمام به ، لماذا لم يفعل في هذه القضية ما فعله الآخرون الصامتون عنه ؟ وهل يحتمل ان الاستاذ يتخذ خطة دعائية للكتاب جاءت في صورة الهجوم عليه ، هل يحتمل ان الاستاذ معجب ومؤمن بالكتاب وانه قد اختار اذكى واقتوى وخفى الاساليب الدعائية لنشر الكتاب وتقديمه الى القارئ العربي ؟ اني لارجو ان يكون هذا هو الذي في قصد الاستاذ ، اذ انه هو الجدير به ، وليس من اللائق ولا من المعقول جدا ان استاذاً ذكياً وتقديمياً ومحترماً مثل الناقد يكون خصماً لمثل هذا الكتاب !

لقد اشرت انا بعيد صدور الكتاب الى ان الادباء والمفكرين لستم يهتموا به الاهتمام المنتظر المفروض في كتاب يحمل القضايا الخطيرة المثيرة التي يحتملها هذا الكتاب ، وكنت ارى ان هذا نوع لا يحتمل من القصير والدرخي ازاء شيء يصنع الحماس والتوتر .. ولكن الموقف بعد ذلك قد اختلف ، فلقد اهتم الكثيرون من النقاد والمفكرين بالكتاب . فكيف خفي كل ذلك على استاذ بحائنه نشيط مخلص مثل الشيخ محمد جواد مفنية فيقي مصرأ على ان الكتاب لم يهتموا بالكتاب ؟

الملاحظة الرابعة :

لقد نقل الناقد فقرات عديدة من الكتاب بامانة مع بعض الاخطاء المطبعية ومع عزلها عما قبلها وعما بعدها . وقد افترض الاستاذ ان مجرد نقل كلمات من الكتاب كاف لاقتراضها خاطئة ضالة خارجة على الحق الذي يزعم الجميع انهم ينشدونه ولا ينشدون شيئاً سواه ، وكاف لاقتراض الكتاب هداماً شريراً مفادياً لمن يحثون عن الله وعن القوة ولغير ! ولكن كيف اقتنع بهذا الافتراض ؟ اليس من المحتمل ان يكون نقل هذه الفقرات كافياً لاقتناع القراء بها وبالكتاب ، وانها قد تصبح اسلوباً من اساليب التبدليل غير المقصود او المقصود على قيمة الكتاب ، ونوعاً من الدعوة اليه والتبشير به ، وليست رداً عليه ولا اساءة اليه ؟ لقد نقل الاستاذ عبارات من الكتاب مفترضا ان القارئ سيراه باطلة ! ولكن كيف افترض هذا الافتراض ؟ هذا هو السؤال .

اذن المطلوب من القاضي المحترم ان يثبت مشكورا بطلان الافكار والنظريات التي حوتها الفقرات المنقولة في تعليقه . وهذه هي رسالته باقتراضه ناقداً ، وهي كذلك رسالة كل ناقد .

الملاحظة الخامسة :

يذكر الاستاذ الصديق ان في موضوعات الكتاب وافكاره خدمة للاعداء . ومن المحتمل انه قد اشار بأسلوب خفي الى هذه التهمة ، والى انها تهمة متفق عليها بين الكتاب والاعداء ، وان الكتاب قد اخذ ثمن ذلك .. نعم ، هنا احتمال قد يكون بعيداً او خفياً بان الناقد قد

رسالة الى مطاع صفدي

بقلم صلاح عيسى

اخي الاستاذ مطاع صفدي

شرت يا اخي ، في تفكك لبحاث عدد فلسطين ، الى دراستي «في اصول المسألة الفلسطينية» إشارة سريعة ، ولكنها عميقة الدلالة، الامر الذي يدفعني الى ان اوضح بعض ما رأيته ابهاما وغموضا في تلك الدراسة ، وان جيب على الاسئلة التي وجهتها الي ، وفاء لامانة البحث ، ونحما لمسئولتيه :

١ - تساءلت يا اخي عن الدافع الذي دفعني الى تنفيذ الحل الديني للمسألة الفلسطينية ، وهو سؤال تحمل الدراسة اجابة عنه ، فقد اشرت الي ان « التفسير الديني » هو الذي يحاول تفسير المسألة باعتبارها « مسألة اسلامية » وليست مسألة صراع ضد الاستعمار، وهذه وجهة نظر لا اعتقد انك نكرها . فان الحركة الصهيونية لم تقم لكسي تهدم الاسلام وتقضي عليه ، حتى تكيف المسألة الفلسطينية هذا التكيف . والتاريخ المعاصر ، يعلم ان زمن هذه الحروب قد انتهى ، وان هموم العالم المعاصر ، ليست كهوم العالم القديم !!

ولقد اشارت الدراسة الى ثلاثة اخطار تتعرض لها المسألة الفلسطينية اذا ما فسرت تفسيراً اسلامياً ، اولها « ان الفهم الديني يخلق للشعوب العربية وللشعب الفلسطيني بالذات حلفاء وهميين فهو يضع في صفه ٤٠٠ مليون مسلم » واعتقد انك توافقني على ان الدول الاسلامية المرتبطة باحلاف استعمارية مثل باكستان وايران ، وعراق نووري السعيد ، لا تعد حلفاء لنا في كفاحنا ضد الصهيونية ، رغم اسلاميتها وعروبيتها احيانا . وثانيها « ان هذا الفهم يعزل قوى الشعب الفلسطيني غير المسلم عن النضال » وقد دلت على هذا من اقوال السيد امين الحسيني مفني فلسطين السابق ، وثالثا « ان هذا الفهم يعزل القوى المعادية للاستعمار سواء اكانت دولا او قوى اجتماعية داخل دول عن الحركة » واعتقد انه اذا وضعت المسألة باعتبارها مسألة اسلامية فان هذا التكيف يعزل اكثرية الشعب اللبناني نفسه عن المعركة ، فان القول بانها « معركة المسلمين » يعزل المسيحيين جميعا عن المعركة !!

لقد فات عليك - نبي استفسارك الاستنكاري - انني عنيت بالفهم الديني للمسألة « التفسير الاسلامي لها » فرحت تسألني « اذا ما قام العامل الديني الاسلامي والمسيحي كرد فعل له قيمته الواقعية في المعركة ضد الصهيونية وتجسيمها المادي في اسرائيل هل نحن مضطرون لوصفه بأنه عامل تعصب ؟ » .. واقول ان العامل الاسلامي والمسيحي لسم يشتركا معا في هذه المسألة ، فهذه نقطة لم اشر اليها ، وثانيا فان علينا ان نفهم طبيعة القضية فهما سليما ، ان نتفق اولا على تحليلنا للعدوان الاسرائيلي علينا ، هل هذا عدوان على الدين الاسلامي والدين المسيحي من قبل الدين اليهودي ، ام انه عدوان استعماري ، يستتر بستر الدين !! .. وما اظنك تجهل ان الدعاية الصهيونية - بذكاء استعماري -

لا تتعرض على الاطلاق لمسألة عدائها للدين الاسلامي وللدين المسيحي ، ولا تكتمه ، ولا تقول به ، بل هي تصور اليهود مظلومين مضطهدين واقلية باستمرار .. فاذا افقنا على انها عدوان ديني ، بداننا نظم صفوفنا ، فنستبعد كل من لا يشاركنا في الدين ، لانه لم يقع عليه عدوان ، فلماذا ننتظر تأييدا من نهر البوذ ، او خروشوف الملحد ، او اي من هؤلاء الذين لا ديانة لهم ؟! وبعد ذلك نحدد اعداءنا فنعتبر كل يهودي عدوا ، سواء اكان يهوديا مصريا ام سوريا ام لبنانيا .. ونطرده من بلادنا .. واود ان اروي لك يا اخي - بعض ما قد لم يصل اليك من تاريخ مصر - لقد استطلت الجمعيات الدينية الاسلامية السنوات الثلاث السابقة على الحرب الفلسطينية في تحويل العداء ضد الصهيونية الى معركة تعصبية ، هددت كيان مصر نفسها ، فسارت مظاهرات الاخوان المسلمين في شوارع القاهرة تهتف بصوت مبجوح « اليوم يسوم الصهيونية .. وغدا يوم النصرانية » (١) ثم قامت هذه الجمعيات باعمال الارهاب لقتل اليهود المصريين ، فنسفت حارة اليهود ، ونسفت شركة الاعلانات الشرقية - لان اصحابها يهود ، ونسفت محلات داود عدس لانه يهودي (٢) وصحیح ان الصهيونيين في فلسطين كانوا يرتكبون الفظائع ضد العرب هناك ، ولكن اما كان الاجدر بهذه الجمعيات ان تقدم معونتها للشعب الفلسطيني ، وان تسأل حكومها عن السبب الذي من اجله تسكت عن الخطر الصهيوني ، ولكن الاخوان المسلمين في تلك السنوات كانوا على وفاق مع الملك ، بعد ان قابله مرشدهم ، وبدلا من ان يعلنوا على الشعب . ان حكومة مصر ، وملك مصر ، يسكتان عن الخطر الصهيوني لانهم جميعا - الحكومة والملك والصهيونية - عملاء للاستعمار كانوا يقتلون اليهود المصريين ، وكل ذنبهم انهم يهود .. ولعلك تعلم ان في مصر الى اليوم يهودا ، وقد جاء اليها الكاتب الامريكي المر برجر رئيس المجلس الامريكي لليهودية - وهو المجلس الذي يتزعم الدعوة الى ان اليهودية دين لا قومية ويرفض اعتبار اسرائيل وطنا لكل يهود العالم - وقابل حاخامهم وكتب ان اليهود في مصر لا يعانون اي اضطهاد ، وانهم لا يوافقون على وجود اسرائيل ويعتبرون الدعوة الصهيونية دعوة مخالفة للتوراة ، وعقب مؤتمر القمة العربي ، اجري الاستاذ عبد الله امام الحرر بروز اليوسف تحقيقا صحفيا مع الحاخام اليهودي المصري « حاييم دويك » ، قال له فيه « ان الصهيونية ليس لها علاقة بالدين ، وتعاليم التوراة واضحة وصریحة انها ضد الاغتصاب ضد العدوان ... ضد المصالح الدنيوية ، وكل ما تفعله هذه الصهيونية تستنسر وراءه

(١) هذا المزج بين العداء لليهودية وللمسيحية قبيح رواية الاخوان المسلمين ، يمكن لك يا اخي ان تقرأ عنه بتفصيل واف في كتابين لكاتب مسلم ، واخر مسيحي ، الاول « مصريون لا طوائف » للاستاذ محمد جلال دار النيل للطباعة . ١٩٥٠ ، والثاني للاستاذ الدكتور زعيب ميخائيل بعنوان « فرق تسد » ويمكنك ايضا مراجعة جريدة الاخوان المسلمين اليومية (١٩٤٦ - ١٩٤٨) وجريدة « مصر » المسيحية وخاصة مقالات الاب سرجيوس حول هذا الموضوع .

(٢) راجع الاخوان والارهاب - الناشر مصلحة الاستعلامات المصرية

١٩٥٤ .

صدر حديثا :

دراسات في الواقع المصري المعاصر

تأليف لطفي الخولي

الناشر - دار الطليعة ص . ب ١٨١٣

اهداف ومطامع .. ان النظم الصهيونية مضادة للدين اليهودي ، وانا لا اعرف الكثير عنها .. ولكنني اعلم ديني جيدا .. انني مواطن عربي ، وعدر بلدي عدو لي ، وكل اليهود المصريين مثلي (1) ان سوريا ولبنان والعراق ما زال بها يهود ، وهم يهود عرب ، !.. ولا ارغب ان تتحول تلك يا اخي الى سلاح تنباهي به الدعاية الصهيونية ، كما تباغت بجرائم العصابات التي شكلها الاخوان المسلمون لفتنتهم !.

٢ - والنقطة الثانية التي ناقشتها هي ادانتني للرؤية الشوفينية ، وتساؤلي يا اخي مطاع « متى تنتهي حدود القومية في هذه المسألة ومتى تبدأ حدود الشوفينية » فانت لا تدري « ان كان الكاتب يعتبر ان القومية العربية ولي هذا النطاق بالذات هي شوفينية ام لا ؟ » وانت ايضا « ان كان الكاتب يعتبر القومية العربية فسي مضمونها الاشتراكي التقدمي شوفينية ام لا ؟ »

ولا اشك في انك تعلم جيدا الفرق بين الشوفينية وبين القومية ، فكاتب جاد مثلك له عدة بحوث ، واعمال ادبية قيمة ، لا تقصر ثقافته عن ادراك الفرق بين الشوفينية وبين القومية ، ولقد حرصت في الواقع على ان استخدم المصطلح باسمه الاجنبي رغم اني لست من هواة الكلام باللغات الاجنبية ، لكي لا يقع لبس في فهمه ، ولكي لا واجه بمثل هذا السؤال .. ولكنك في الحقيقة تود ان تسألني بطريق خفي ، وذكي ايضا « ما رأيك في القومية العربية ، هل انت موافق عليها ام لا ؟ » والسؤال كما ترى يا اخي خارج عن نطاق الدراسة التي كتبتها ، ورغم انه ليس من حقلك لا انت ولا غيرك ان يسألني بهذه الطريقة فاني اجيب على سؤالك : يا اخي مطاع ، لقد قلت ان الرواية الشوفينية تصنع المسألة باعتبارها صراعا بين قوميتين ، احدهما يجب ان تسود ، وانها تقسم الناس تبعا للاجناس وللاديان ايضا ، فتقول ان هذا جشع لانه يهودي ، وهذا عظيم لانه مسلم ، وتعتقد انه يجب ابادة بعض الاجناس وبعض السلالات لانها حقيرة ، فهل « القومية العربية بمفهومها التقدمي الاشتراكي » تعتقد هذه الرؤية ؟ ، ثم قف معي قليلا يا اخي مطاع لاسالك ، المفهوم التقدمي الاشتراكي للقومية العربية ، اين هو اليوم على المستوى الفكري ؟ ان الحركة القومية العربية الواحدة التي دعما اليها الرئيس عبد الناصر ، بهدف توحيد الفكر القومي التقدمي لم تنشأ بعد ، ولم تنضج معالمها ، وليس امامنا ، منهج فكري واضح في هذه المسألة سوى اليثاق الوطني المصري ، وانا شخصيا لا اعتقد ان اليثاق قد دعا الى التعمية القومية ، ولا الى العرق والسلالية .. وغيرها ما يمكن ان نسميه الشوفينية !!

وانا لا اعتقد ايضا معك بان « الرابطة الحيوية القومية كانت تدفع بالعرب جميعا برجوازيين واقطاعيين وفلاحين ومثقفين الى معاناة الخطر العام الناجم من الغزو اليهودي يوما بعد يوم » ؟!

لا يا اخي مطاع ، لماذا وقعت النكبة اذن ، اذا كان الاقطاعيون الفلسطينيون العرب قد عانوا الخطر ، فلماذا وقعت النكبة ، وهزل الخيانات التي وقعت ، قبل الحرب واثناها ، كانت خيانات فردية اذن ؟! .. هل ترى انه لو كان على رأس عرش مصر جمال عبد الناصر عام ١٩٤٨ ، والاقطاع على ما هو عليه ، والاستعمار رابض في القتال ، لما وقعت النكبة ، عزيزي مطاع ، هل هذا هو مفهومك للتقدمية الاشتراكية للقومية العربية .

٣ - ولقد اخذت على انني صدمت الوجدان القومي فسي بعض تحليلاتي ، دون ان تقدم لي يا اخي مفهومك لهذا الوجدان ، وربما تكون دعواك صحيحة ، انني اعترف انني صدمت الوجدان القومي الذي يعتبر ان القومية العربية حركة تعصية اسلامية ضد القوميات الاخرى ، وضد الاديان غير الاسلامية ، هذا المفهوم اننا ضده ، وقد صدمته عن عمد ، ولا ادري كيف تعتبر تفسيرتي للاضطهاد اليهودي صدمة للوجدان العربي ، هل توافق على ان هذا الاضطهاد « عمل تقدمي اشتراكي » ام هل تنكره ؟!

(1) راجع روز اليوسف القاهرة - العدد ١٨٦٣ في ٢٤ - ٢ - ١٩٦٤

هل يستطيع احد ان يتناسى ما فعله هتلر باليهود .. وادعوك يسا عزيزي مطاع لان تقرأ كتابا اسمه « رباط الحقد » ومؤلفته بولندية شابة اسمها « سيفيرنيا سماجسكا » والكتاب يتحدث عن مسكسر الاعتقال النازي « اوشفيتز » في الحرب العالمية الاخيرة ، لقد عاشت سيفيرنيا في هذا المسكسر سنوات من عمرها ، وشاهدت ما كان يفعله النازيون ، والاضطهاد المزي بكرامة الانسان وعقله وحياته ، ووجوده كله ، وهي تنهي كتابها بصيحة مليئة بالالم .. وبالثورة « ان ابار المساجين المجهولين الذين قتلوا هم اباؤنا واخواننا وكذلك اصدقاء الضحايا واليتامى ، كلنا اخوة ، ان الحقد يوحد بيننا ويربطنا جميعا ، الحقد على الحرب .. وعلى الذين يدفعون البشرية الى الانتحار » .

ان اي انسان شريف مثلي ومثلك يا اخي مطاع ، لا يمكن الا ان ينكر الاضطهاد اليهودي ، وقد فسرتة التفسير الذي اراه صحيحا ، ووضحت ان اليهود لظروئهم الخاصة ، كانوا ضحية لعصور الانتقال التاريخية ، وانهم قد راحوا ضحية استغلال الاقطاع لقصة صلب المسيح ، واكدت انهم لم يضطهدوا في البلاد الاسلامية ، ثم قلت ان هذا الاضطهاد قد انتهى فعلا لسقوط النازية ؟ . فكيف يصدم تفسيرتي هذا الوجدان القومي ، هل ترى يا مطاع ان اضطهاد اليهود ناجم مسن ان جنسهم « قدر » كتبت عليه اللعنة ؟! وهل ترى ان هذا الجنس الملعون يجب ان يباد من العالم ؟! .. وهل هذا الرأي في مصلحة قضية فلسطين ؟! هل تود ان تقدم دليلا جديدا للدعاية الصهيونية تقول به ان القومية العربية ضد اليهود ، وانها توافق على اضطهادهم ، وتراه عملا مشروعا ..! هل تنوي ان تطالب بانشاء « اوشفيتز » جديدة !.. ولقد نسيت بعد هذا ان تكمل رأيي ، فرغم انني فسرت الاضطهاد ، الا انني اوضحت ان الحل الحقيقي للاضطهاد اليهود لم يكن في الحركة الصهيونية ، وان اليهود قد فقدوا الرؤية الصحيحة لحل مشكلتهم وتحولوا الى عملاء للاستعمار يتفنون مخططه . وبرأيك ايضا انني قد صدمت الوجدان العربي عندما « برأت الجماهير اليهودية في فلسطين من موقفيها العدواني » ولقد قلت « ان اكبر المساعدات التي قدمتها سلطات الانتداب البريطاني هو انها - وهي المكلفة بحفظ الامن والنظام في فلسطين قد انسحبت الى مسكراتها في الفترة من صدور قرار التقسيم في نوفمبر ١٩٤٧ حتى انتهاء الانتداب وبداية الحرب اليهودية العربية في مايو ١٩٤٨ - وتركت اليهود والعرب في معركة ضارية تاركة ابواب مسكراتها لافراد العصابات الصهيونية لكي يسرقوا السلاح » واشرت الى دور المنظمات الارهابية التي انشأتها الصهيونية والى انحرافها اليميني وتعصبها ، وانا اطلب منك ان تدلني على جملة واحدة من المقال تقول ان اليهود في فلسطين لم يعتدوا على العرب !! فاذا وجدتها فانا اعتر عندها .

وقد اودى وجدانك ايضا بتفسيرتي للحرب الفلسطينية « وكانها حرب مصطنعة دفعت اليها البرجوازية العربية للتخلص من بعض تناقضاتها الداخلية » . فرأيت انه كان الاجدر بي « ان اذكر الاحداث ، فأرى كيف ان الحكومات الرجعية قد دفعت دفعا من قبل الجماهير العربية لاعلان هذه الحرب ثم خانتها » . والواقع انني كنت افسر موقف الرجعية المصرية ، باعتبارها ابرز الوجوه في تلك الحرب ، بل ان مصر في الواقع هي التي كانت تحارب ، واماسة « ماكو اوامر » لم تنس ، والانسحاب من اللد والرملة ليس بعيدا ، ولم تكن الجماهير المصرية في ذلك الحين قد ارتبطت بحركة القومية العربية ، وكل الذين كانوا يطلبون فعلا بدخول الحرب هم الجمعيات الدينية التي سارت مظاهراتها في الشوارع تطالب ذبح اليهود والمسيحيين والدفاع عن دين الاسلام !! ثم ان استغلال الحكم الاقطاعي للمعركة وتضليله الجماهير لا يتفصل عن المعركة نفسها ، ان الحكم الاقطاعي قد عبأ فئات من الجماهير لكي يقول انه يدافع عن الاسلام ، فهو لا يستطيع ان يقول انه يحارب الاستعمار ، لانه كان يخشى ان تعود الجيوش من هناك لتحارب الاستعمار الذي يضربها في الظهر ، وهذا ما حدث فعلا ، وما عتيته عندهما قلت ان « كارثة فلسطين كانت صخرة الموت للرجعية العربية » ، ولماذا تصور

اشياء لم تحدث ، ولا نسمع شهادة محارب من الذين اشتركوا في حرب فلسطين ، يقول جمال عبد الناصر في كتابه « فلسفة الثورة » (في فلسطين جلس بجواري مرة كمال الدين حسين وقال لي وهو ساهم الفكر شارح النظرات : هل نعلم ماذا قال لي احمد عبد العزيز قبل ان يموت ، قلت : ماذا قال ؟ قال كمال الدين حسين - وفي صوته نبرة عميقة وفي عينيه نظرة اعمق : لقد قال لي : اسمع يا كمال ان ميدان الجهاد الاكبر هو في مصر !.. » ويستطرد « وكثيرا ما قلت لنفسي : ها نحن اولاد هنا في الحجاز محاصرين ، لقد غرر بنا ، دفعنا الى معركة لم نعد لها ، لقد لعبت باقدارنا مطامع وشهوات ومؤامرات وتركنا هنا تحت النيران بغير سلاح .)

ان الدول العربية التي دخلت فلسطين لتحارب ، كانت تحارب في الواقع الحركات الثورية داخلها ، ولا تحارب الصهيونية ، ومن هنا فان الجيوش العربية المحاربة في فلسطين كانت تضرب من الامام ومن الخلف ، والحرب الفلسطينية لم تتم رغم انف الرجعية العربية ، ولم تدفع اليها هذه الرجعية دفعا من الجماهير ثم خانتها ، لقد رتبت الرجعية لها وهي مطمئنة تماما الى نتيجتها !

واقول لك يا اخي مطاع ، يبدو انك قد قرأت كتاب الحكم روزه اكثر مما قرأت مقالي ، وانك تاهبت لمناقشتي بمسئلة اساسية هي انني لا بد واحد ممن تشملهم دراسة الحكم ، ورغم انني قد اتفق او اختلف مع الاخ « الحكم » في كتابه ، فان دراستي ، واقع موضوعي كان ينبغي مناقشته قائما بذاته ، مستقلا بكيانه ..

اما التهويمات التي انطلقت خلال مناقشتك ، فرغم ثوب الدقة المحاط بها ، وهو ما اشكره عليه كل الشكر ، فقد آذت وجودي كله ، واكدت عندي انك رغم تقديري لك - لم تستطع ان تفلت من قبضة الظلام ، حيث تنطلق الكلمات الخفائية ، ترفرف باجنتها ، وتطلق اضاء كاذبة ، وتفني بصوت كرجع الصدى ، ولكنها تبشر بالخراب .. وفي الصباح ، تعمر الخرائب ، وتختفي الخفافيش ، فنطلق الكلمات الصادقة ... تتجادل ، وتتصارع ، مطلقا اساسا من حب حقيقي لسطاء الناس ، والتحام صادق بمشاكلهم ، وامنياتهم ، قد تختلف ، ولكنها تنطلق من ارض واحدة !..

شكرا يا اخي مطاع . وقلبي معك !
القاهرة

صلاح عيسى

حول مقال

« في اصول المسألة الفلسطينية »

بقلم : صدقي البيك

نشر الاستاذ صلاح عيسى في العدد الثالث الخاص بفلسطين مقالا اراد فيه ان يفهم الجماهير العربية القضية الفلسطينية من داخل اطارها ، وذلك ببحث المفاهيم الخاطئة ، في نظره ، التي قامت عليها القضية الفلسطينية ، وليضع اخيرا المفهوم الذي يجب ان تعالج القضية طبقا له ، فهو يرى انها تنبغي الا تعالج بمفهوم ديني ولا بمفهوم قومي « فهذا يعد بنا عن جوهر المسألة الصهيونية الاصيل ... الاستعمار العالمي .. » ص ٣٦ ، ولذلك فهو يريد ان يحصر المفهوم في ان « خطورة اسرائيل الحقيقية انها قاعدة استعمارية تمثل الفكرات السائدة فيها امنيات الاستعمار العالمي . » و « انها دولة عميلة للاستعمار العالمي الذي يعيش في شبه مأزم باحثا عن اسواق ! » ص ٤٢ . وهو عندما يتكلم عن ظروف بداية الصراع بين العرب واليهود يحاول ان يظهره بمظهر الصراع الاقتصادي !! فيزعم ان « الرأسمالية العربية الناشئة في

فلسطين تريد ان تكون اقتصاديات فلسطين جميعا في مجال الاستغلال . » ص ١١٢ وبالتالي فان هذه الرأسمالية مدعومة بالنظم الاقطاعية « بدأت تشكل احزابها السياسية » لتحارب الاحتلال الصهيوني !! ثم هو يحاول ان يضع الطبقة العاملة في فلسطين في صف بعيد عن هذه الاحزاب .

لا ينكر احد ان اسرائيل دولة عميلة للاستعمار وانها جسر للدول المستعمرة ولكن الاصرار من الكاتب على هذه الناحية ومحاولة ابراز المعركة بوجهها الرأسمالي وابتعاد العمال عن الرأسماليين والاقطاعيين (مع عدم صحة هذا التقسيم وهذا الابعاد) والظعن في المفهوم الديني والقومي ، يكاد يشف عن معالجة غير نابعة من صميم العرب ، وتكاد هذه الشفافية تصطنع بلون ما . ويؤكد هذا ذلك الدفاع الشديد عن الحركة الشيوعية ونفي سيطرة اليهود عليها فهو يقول « لقد اعلن الفكر الماركسي موقفه من قضية القومية اليهودية منذ بدء ظهوره فكتب ماركس كتابه « المسألة اليهودية » وقال لينين « ان الحركة الصهيونية حركة خاطئة ورجعية ... » وقال خروتشوف « من غير الصحيح اتهام الشيوعيين بانهم يعملون ضد مصالح الشعوب الوطنية ، ومن السذاجة ايضا وضع الشيوعية والصهيونية على صعيد واحد . فمعلوم تماما ان الشيوعيين ، ومنهم شيوعيو اسرائيل ، يناضلون ضد الصهيونية . » ص ٣٥ . فالقضية اذن قضية دفاع عن الشيوعية وبهذه الحرارة ، وبالتالي فان الكاتب ينظر الى الاستعمار على انه كل ما ليس شيوعيا ، وبهذا يختلف عن مفهومنا نحن الفلسطينيين والعرب عامة للاستعمار ، ومن هنا نستطيع ان نقول : انه ينظر الى القضية من وجهة النظر الشيوعية لا من وجهة النظر العربية ويوضح ذلك انه في ص ٣٦ يحدد القوى التي شكلت جزور المسألة فيقول : « فنحن امام الصهيونية ... ونحن امام الاستعمار العالمي في مرحلة الامبريالية ... ونحن امام الواقع الفلسطيني في مرحلة النمو الرأسمالي والانفلات من اسر الاقطاعية ... »

اننا لا نحارب اسرائيل لانها جسر للاستعمار فحسب ، بل اننا نحاربها ايضا واولا لانها اغتصبت بلادنا كما كنا نحاربها ونحارب الانكليز قبل الجلاء ، فلو ان قوى ما في اسرائيل استطاعت ان تبعدها عن ان تكون جسرا للاستعمار الغربي ، وتعتبر اوضح ، لو قدر للشيوعيين في اسرائيل استلام الحكم ، انتوقف عن حربها ؟ ابدا . اننا نحاربها ما دامت مفتصبة لارضنا سواء كانت عميلة لاستعمار غربي او غير غربي او كانت حيادية ، ونحارب من تكون هي عميلة له .

وكاتبنا يدافع عن الشيوعية فيصفها « بالفكر التقدمي » وياخذ على العقاد عداءه للشيوعية فيقول : « ويحاول الشوفينيون استغلال العداء للصهيونية - باعتبارها حركة عميلة للاستعمار - لاختفاء عدائهم للفكر التقدمي » ص ٣٥ وذلك لان العقاد يرى « ان الصهيونية قد اشتركت في كل حركة من حركات الهدم والتدمير واخر ما اشتركت فيه حركة الشيوعية في العصر الحديث . »

ومن اجل ان يصل الكاتب الى غرضه هذا من طرف خفي لجا اول الامر الى تحطيم المفاهيم الاخرى التي يمكن ان تحارب من خلالها الوجود الاسرائيلي ، فجعل نشوء المفهوم الديني في الفكر السياسي « نتيجة طبيعية للاوضاع الاقطاعية للعالم العربي . » ص ٣٤ ، ويبدو ان هناك شيئا ضايقه في القيادة الدينية للحركة الوطنية في فلسطين فاعتبرها مدفوعة « بالمصالح الاقطاعية » !! وآله ان تسمى هذه القيادة الى عقد المؤتمرات المتعددة لجعل قضية فلسطين قضية المسلمين في انحاء العالم وكسب التأييد في البلاد المتعددة للقضية .

لماذا نرفض ان تكون قيادتنا دينية ؟ هل تحركت قيادة اخرى ؟ هل انطلقت معظم ثوراتنا في فلسطين الا من هذه القيادة ؟ انقول للشيخ عز الدين القسام : انك اسأت لانك عالم دين ثور على الانكليز واليهود ، اخلع لباسك وانزع عن نفسك صفة الدين ثم ؟! والاستاذ صلاح عيسى نفسه يريد ان يزيد عدد الذين يؤيدوننا ويساعدوننا فلم اذا ياخذ على من يعتقدون المؤتمرات لنصرة فلسطين هذه الفكرة ؟ انها دينية نحاربها ولا نحاربها اذا كانت تهدف للسي الاستعانة بالشيوعيين ؟

فنحن بحاجة الى كل عون مادي ومعنوي سواء كان دينيا او شيوعيا شرقيا او غربيا . ولا ينكر احد ان القدس مدينة مقدسة عند المسلمين والمسيحيين فلماذا لا تكون قضية تحريرها تهم كل واحد منهم طالما انها مقدسة عندهم ؟ ان المسلم مهما بعدت به الدار عن فلسطين او ابعده لفته عن اهل فلسطين فهو يريد لهذا البلد ان يحكمه العرب ويظهره من اليهود . ولماذا نستكثر على انفسنا قيادة دينية ونعجب بالقيادة الدينية عند جيراننا ؟ لماذا نعجب بقيادة مكاريوس الدينية ونعني على الفلسطينيين قيادتهم الدينية مع ان الظروف في قبرص اقسى منها في فلسطين ؟

ولا يكفي الكاتب بالنفي على القيادة الدينية وان يحاول ان يبرز اخطارا للفهم الديني ، فهو في رأيه خطر ((لانه يخلق للشعوب العربية والشعب الفلسطيني حلفاء وهميين فهو يضع في صفه {.. مليون مسلم}) ص ٢٤ ، وهكذا فهو يرى هذه الملايين وهمية مع انها ضحت بشيء من المال وحارب بعضها في فلسطين ، وايدوا كل قضية عربية بالاحتجاج والتظاهر والوقوف جنبا في المحافل الدولية ، ولكن الاذن التي لا تريد ان تسمع والعين التي لا تريد ان ترى لا تستطيعان ان تتحسنا اهمية هذا التأييد ووجوده . ثم ان القضية الفلسطينية ليست قضية تأييد عددي بل هي بحاجة الى تأييد ينبع من عقيدة تعتبر قضية فلسطين قضيتها ، وهؤلاء الملايين لا يؤيدوننا ردا لجميل من لنا عليهم في الحاضر جميل ولا يؤيدوننا تبادل للمصالح وانما هم يعتبرونها قضيتهم بالذات ، ولست نبي معرض ذكر تصريحات المسؤولين منهم والشعبيين ، فهي كثيرة لا اعتقد ان الكاتب يجهلها وقد القى بعضها على مقربة منه يوما ما . وادهى من ذلك انه يحتج على القيادة الدينية متهما اياها بالخيانة بقوله : ((بل ان القيادة الدينية التي كانت تقود حركة التحرر القومي العربي خلال الحرب الاولى وبعدها قد وافقت على خيانة الشعب الفلسطيني)) ص ٢٤ ويذكر موافقة فيصل الاول على انشاء دولة يهودية في فلسطين . اي منطوق هذا الذي يحاسب المسلمين باخطاء الخارجين على مفهوم الاسلام فيعتبر فيصلا زعيما دينيا للعرب ويحمل مسؤولية خيانتة هذه للمفهوم الديني وكان هذا المفهوم يدفعه الى الخيانة ؟! لماذا لم يذكر الكاتب جهاد القيادة الدينية في فلسطين طوال { سنة ؟ لماذا لم يتذكر الشيخ عز الدين القسام وحسن سلامة الخ .. ؟ لماذا يتذكر فقط ((ان الخيانات التي مني بها الشعب الفلسطيني قد نبعت من مسلمين)) ص ٢٤ ؟! الاتي للنوايا السيئة وراء هذا الكلام تلك النوايا التي تريد ان تشعر القاريء ان المسلمين في فلسطين كانوا خونة قيادة وافرادا .

ويذكر مظهرا اخر لخطورة المفهوم الديني فيقول ((كذلك يعزل هذا الفهم قوى الشعب الفلسطيني غير المسلم عن النضال)) من قال للكاتب ان ذلك واقع نظريا وعمليا ؟ فقد اشترك من كان يريد من غير المسلمين في الثورات التي قامت في فلسطين ، وما كانت هذه الثورات تعزل تلك القوى اطلاقا واكبر دليل على بطلان ما يدعيه الكاتب ان القيادة التمثيلية في مفتي فلسطين تنقض في واقعها العملي هذا الادعاء باعتمادها على قوى المسيحيين الذين لا يعزلون انفسهم عن القضية ، ومن الناحية النظرية من قال للكاتب انه لا يمكن ان يتعاون الناس على اختلاف

اديانهم طالما ان عددهم مشترك ؟ وما المانع ان يوجه الدين اسلاما كان او مسيحيا ما في النفس فيكون الدافع اقوى لمحاربة اليهود والصهيونية؟ وتيكن معلوما لدى الكاتب ان هناك فرقا بين ان تعزل (بالبناء للمجهول) بعض الفئات وبين ان تعزل هي من ذاتها ، ولقد عزل كثيرون من المسيحيين ، ومن المسلمين ، انفسهم عن الحركة لا لان القيادة او الفهم الديني عزلهم ولكن لانهم هم عزوا انفسهم ، ووصل الامر عند بعضهم ان يعملوا في صفوف الانكليز واليهود ، والامثلة ماثلة حتى الان بالنسبة للفئات التي استمرت البقاء في فلسطين المحتلة والتعاون الكامل مع اليهود .

ويرى الكاتب ايضا ان الفهم الديني ((يعزل في نفس الوقت القوى المعادية للاستعمار عن الحركة سواء اكانت هذه القوى دولا او قوى اجتماعية .)) ص ٢٤ . ان الواقع يكذب ما يذهب اليه الكاتب ، فان اختلاف المفهوم عند قوتين او دولتين لا يمنعهما من محاربة عدد مشترك لهما ، فلقد تعاونت الدول الشيوعية والرأسمالية في محاربة العدو المشترك لهما ، نازية هتلر ، وكذلك ايدت الدول الشيوعية الدول العربية في محاربتها للاستعمار مع الاختلاف في المفهوم بينهما لان الاستعمار عدو مشترك سواء حاربناه بالمفهوم القومي او الديني او الوطني ، وكذلك ايدت الدول الشيوعية مكاريوس في حرب تحرير قبرص وهو زعيم ديني . والذي يريد ان يؤيدنا في حربنا لاسرائيل ويفرض علينا في نفس الوقت الا يكون بين فهمنا وفهمه للقضايا الاجتماعية والسياسية والفكرية اي اختلاف هو واهم ، فهو اذا كان قوة معادية للاستعمار وانا نحاربه ونحارب الصهيونية عميلته يؤيدنا لالتقائه معنا في الطريق الى شيء معين ، والواقع ان العلاقات بين الدول قائمة على المصالح اكثر من قيامها على المفاهيم .

وياتي اخيرا الى عرض مسؤولية الفهم الديني في تعقيد قضية فلسطين فيقول ((وكان الفهم الديني هو المسؤول عن عدم تحويل المسألة الفلسطينية الى مسألة ممكنة الحل في بعض الظروف ...)) ص ٢٤ فهو اذن يحمل على الفهم الديني عدم قبوله للحلول التي عرضت على بساط القضية في الاوساط الدولية ، واي فخر يمكن ان يعتز به الفهم الديني اكبر من هذا الفخر ! ان الفهم الديني لا يقبل انصاف الحلول بالنسبة لقضيته الرئيسية ، انسه لا يقبل ((بانشاء دولة ديمقراطية في فلسطين)) يشترك فيها العرب واليهود كما يرغب الكاتب الاستاذ صلاح عيسى ، وهو ينسب هذا الرأي الى ((القوى الديموقراطية في فلسطين والبلاد العربية)) فيقول ((تحولت الحرب الى حرب دينية رهيبه ، الامر الذي منع القوى الديموقراطية في فلسطين والبلاد العربية من فرض رأيها بوجود انتهاء الانتداب البريطاني وانشاء دولة ديمقراطية في فلسطين)) ص ٢٤ . انني اساءل : ما هي هذه القوى الديموقراطية ؟ ومن يقصد بها الكاتب ؟ وما هو وزنها حتى تفرض رأيها؟ واي مصلحة للعرب من اقامة حكم ديموقراطي بالاشتراك مع اليهود ؟ ان التخلص من الانتداب جزء من هدفنا نحن ، واما الكاتب فان هذا الامر هو كل ما يهدف اليه فما السبب ؟ لعله يريد ان يصفو الجو لمنتدب اخر !! فيعمل عن طريق عملاء مخلصين له من العرب واليهود . ويوضح فكرته هذه في مكان اخر ص ١١٤ فيقول ((وقد حاولت قيادة الطبقات

صدر حديثا :

تأليف
الدكتور عبد الجبار الجومرد

داهية العرب

ابو جعفر المنصور
مؤسس الدولة العباسية

الناشر - دار الطليعة ص . ب ١٨١٣

الشعبية (!!) التي ظهرت خلال الحرب العالمية الثانية ان تقدم حلاً عملياً للمسألة فطالبت بالغاء الانتداب وانشاء حكومة ديموقراطية وطنية في فلسطين تمثل جميع سكانها عرباً ويهوداً . « ان الصرب رفضوا ان يتعاونوا مع اليهود في حكم البلاد يوم كانت نسبتهم اقل من ١٠٪ فكيف يقبلون هذا التعاون بعد ان اصبحت نسبتهم بعد الحرب الثانية اكثر من ٣٠٪ ؟

والثورات الفلسطينية المتعددة ما كانت لتميز بين عدوين متعاونين بعدم احدهما الاخر الانكليز والصهيونية ، فكانت الثورات المسلحة الاولى توجه ضد الانكليز اكثر مما توجه ضد اليهود وبالتالي فان الحركة الوطنية في فلسطين لم تتحول عن حرب الاستعمار اطلاقاً ، ولم تتخل عن حربه اطلاقاً ، وليس صحيحاً ان قول الكاتب الذي ياخذه من كاتب مماثل له هو المحامي صادق مسعد وهو ان « الحركة الوطنية تحولت من حركة سياسية ضد الاستعمار الى حركة دينية وعنصرية ضد اليهود » . وهو يقول هذا الكلام سنة ١٩٤٥ في الوقت الذي لم تكن الحرب قد وجّهت ضد اليهود بشكل رئيسي ، ومن الناحية السياسية فان الحركة الوطنية لا زالت حتى الان تحارب الانكليز وتحملهم مسؤولية اقامة الكيان الاسرائيلي وتشريد اهل فلسطين منها .

ولم يكن للكاتب يد من ان يدلي بدلوه في حل قضية فلسطين ويقترح حلولاً عملية اخرى بعد ان يس من تطبيق حلول القوى الديموقراطية !! والقيادات الشعبية !! ، فهو بعد ابراز اسفه على « القضاء على اهل انشاء دولة ديموقراطية تضم العرب واليهود » يقترح علينا حلولاً يظن انه صاحبها ، ونحن نعلم من هو صاحبها ، فيقول (ومن هنا كان التقسيم هو الحل العقول) !! ص ١١٤ ثم يعنى على السدول العربية رفضها للتقسيم . لقد قالت بهذا الرأي القوى الديموقراطية منذ عام ١٩٤٨ م وكان الرد الفلسطيني والعربي الجماهيري قاسياً ولا يزال . ان كل فلسطيني لا زال يرفض التقسيم وكل حل يعطي اليهود وجوداً ما في فلسطين .

فيا ايها المقترحون لكن اقتراحاتكم العملية نابعة من واقع انتمكم وليكن عملكم وكتابتكم لمصلحتنا حتى تجدوا آذاناً تسمع وقوى تستجيب .

صدقي البيك

حمص

رد على نقد

بقلم محمود البستاني

حين قراءتي نقد الدكتور عز الدين اسماعيل لقصائد العدد الثالث، وقفت على تقسيمه لمجموعة القصائد الى قسمين (قسم تغلب عليه الضبابية ويوحى بتمزق التجربة وقسم اخر فيه وضوح وشفافية وتماسك) ، وبعد ان يعترف بان الشعر يقبل الجو الضبابي ، كما يقبل الشفافية ، وان المسألة ترجع الى طبيعة الشاعر وطريقته فسي الاستجابة للخيال ، يعود بعد ذلك فيقول « ليس من حق احد ان يطلب من الشاعر نزع الغلاف الضبابي الذي يحيط بعمله الفني » . وحين ينكر الناقد الكريم حق المطالبة من الشاعر في الابتعاد عن اجوائه الضبابية ، يؤكد ان كثيراً من القصائد الضبابية تنجح في خلق الانارات « ولكن الضبابية المتكلفة لا لشيء بل للايحاء بان وراءها شيئاً ثميناً يستحق العناء لا يمكن قبوله بحال من الاحوال » . وانطلاقاً من هذه الزاوية يسوق مثلاً من قصيدتي (هي وايار والشتاء) ليدلل بان ضبابيتها توحى بتمزق التجربة ، والضوء الذي يسقطه على اشلاء التجربة المزقة ، هو توقعه لاستقبال الرؤى المخيفة عبر الليل الداجن والريح العاوية في البيت الاول ، ولكن توقعه يصطدم بتجمد النهار في عيني الشاعر ، ولا ادري كيف ان الناقد الكريم يعتبر تجمد النهار

نقطة مفاجئة تعترض طريق الرؤية وتعطلها ؟ .. نعمنا نحقق العين ، وعواء الريح الهادر من مسافات الدجى يثقل اهدابها ، حينئذ يتجمد صحو نهار الشاعر تحت وطأة هذا الثقل ، يتجمد لحظة انهماك رؤى الليل .. اين الصورة الطارئة في هذا ؟ .. ولا اعتقد ان هذه الصورة تمنع السياق النفسي من ان يتساق تماماً كما يتفضل الناقد الكريم بعد ان يتضح ان صحو النهار يقيم في اللحظة التي تنكس فيها رؤى الليل الماساوي .

وقد تصح وجهة نظر الناقد بالنسبة لهذه النقطة بالذات ، ولكن لا اعلم كيف يتقبل ان يشر نقطة اخرى لا يمكن ان يتقبلها اي ناقد مهما تباينت وجهات النظر ، فهو يعتبر رؤية عيني الشاعر لشبح ينزوي وراء غابات الشجور ، رؤية متسقة ، لان كثافة الاسى الكامن في النفس ، يجعل المرئي شبحاً غير محدد المعالم ، .. يعتبر هذا جميلاً ، ولكن لم يرق له - فيما بعد - ظهور هذا الشبح الذي لم ينعكس على الرؤية في مجملها .. ولكن اذا كان الامر معكوساً تماماً ، على خلاف ما يتصوره؟ وهذا ما ابينه الان .. فقد تفضل الناقد موضحاً بانني ما ان تحدثت عن مجيء الشبح عبر رؤى مشلولة الخطو ، حتى تركته بلا مبرر ، لكي اتحدث كيف ان هذه الرؤى تحمل لي لسعات الدجى التسي تهجس في النفس عن (ازمات العالم المرتشي) ، حتى انه اخذ يستعين بالله متسانلاً « اكان ادراك ازمات العالم المرتشي بحاجة لكل هذه الرؤى والتهاويل ؟ » واجيب على ذلك : بلى : بحاجة لكل هذه الرؤى والتهاويل ، بحاجة الى اكثر من ذلك ، واذا سمح لي ، اقول بان هذه الرؤى والتهاويل تقف مقصرة في اطلالتها امام ازمة العالم المرتشي ضميره عندما قدم (فلسطينا) لقمة سائفة لشذاذ الافاق ، ومن حق هذه الرؤى الحاملة لسعات الدجى الماساوي ان تهجس في النفس وتهمس في هياج لصياح البقعة التي طالما اشرق النهار عليها ، صاحبها بامل ابنائها المشردين ، .. ولماذا يستنكر على الشاعر حاجته الى الرؤى والتهاويل عبر ادراكه لازمات الضمير المرتشي ، ابيخل عليه حتى بالرؤى؟ ان ادراكه - واقولها مرة اخرى - بحاجة لاكثر من هذه التهاويل، واذا كان انفتاح مأساة كهذي ، امام عيني الشاعر لا تحتاج الى مثل هذه الرؤى - وهي اضعف الايمان - كما يقال - في حدث اصغى من ادراك مأساة الارض السلبية ، في نظر الناقد الكريم ، يستحق ان يحتاج الى رؤى وتهاويل واسى في النفس ؟ اترك هذا لتقدير القراء .

على ان الناقد الكريم - عوداً على بدء ما اثاره في صدر نقده - لو قرأ المقطع الثاني من القصيدة لادرك ان هذه الرؤى والتهاويل تتجسد في الاضلاع القرورة الزاحفة في صمت الليل ، وفي طفرة الانسحاب ، اشباح طفل جففت لهان دهباء في الجو ، وصراخ عارية امام كنانة السيل التتريه التي لم تكش عن هادر اللغو .. كل هذه الرؤى زحفت على متن الدجى وحملتها الريح عندما حدقت عينا الشاعر وادركنا ازمات العالم المرتشي ، والذي رش الافاق بزخه هذه الرؤى والتهاويل ... وهنا اتساءل اخيراً .. هل ان هذه ضبابية متكلفة لا لشيء الا للايحاء بان وراءها شيئاً ثميناً يستحق العناء ؟ الذي يبدو ، بعد ما تقدم - انه يستحق العناء بالفعل ، واذا استحقه فلا تكون - وبالتالي - امام ضبابية متكلفة كما انتهى الى ذلك الناقد الكريم ... واذا عرفنا ان الناقد يعتبر - في ثنايا نقده - العمل الفني وحيدة متسقة لم يتأثر بالصور الجزئية ما لم تترايط عضويًا وينظر اليها كبناء عام ، ككل ، فان المقطع الثاني يرتبط في تجربته الخاصة ، وينتهي معاناة الى المقطع الاول . فكيف يسمح لنفسه ان يستل بعض الصور من دون ان يعكسها على الرؤية في مجملها - خلافاً لما يؤكد عليه - والذي اخاله ، ان الوحدة العضوية - بعدما تقدم - اذا لم تتماسك على النحو المطلوب خلقاً ، فانها - على الاقل - لم توح بتمزق التجربة على النحو الذي حكم به الناقد الكريم .

محمود البستاني

بغداد